

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أمرنا بترتيل كتابه كما أنزله على عبده وحبيبه - محمد صلي الله عليه وسلم - فكان من آياته (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا)⁽¹⁾، أودع فيه من الخصائص ما عجز عن إدراكه الفصحاء والبلغاء ، ووهب خاصّة عباده معرفة بعض أسرارهِ ، والصلاة والسلام على مَنْ مَنَّ الله عليه بمنطق البيان وحلاوة اللسان فكان قرآنًا يمشي على الأرض - محمد صلي الله عليه وسلم - وعلي آلِه وصحبه أجمعين .

أما بعد ،،،

فقد قدّم علماء العربية قديمًا كثيرًا من الدراسات الصوتية والدلالية حول اللغة العربية عامّة والقرآن الكريم خاصّة ، بدأت ببعض الأفكار والآراء ثم غدت بعد ذلك في صورة مُصنّفات أصبحت علامة بارزة في سماء لغتنا العربية ، أدهشت كثيرًا ممن قرأوا التراث العربي وحاولوا الوقوف على أبعاده .

ثم انتقلت الراية من السلف إلى الخلف فأبدع المحدثون كما أبدع القدامى من قبل ، فقرئت السطور وما بينها قراءة جيدة ثم انطلقت بعد ذلك هذه الدراسات إلى آفاق أرحب وأوسع ساعدتهم على ذلك التقدم العلمي في كافّة المجالات .

والهدف في النهاية واحد لا يتغيّر ولا يتجزأ وهو المحافظة على لغة القرآن الكريم ، والذي يعد في حدّ ذاته حفاظًا عليه .

وقد قدّم الدرس الصوتي ترجمة حقيقية وصورة مُفصّلة لمخرج كل صوت من أصوات العربية والسمات الخاصة به ، وذلك في حالته المفردة المجردة أولاً ؛ وذلك لأن لكل صوت من أصوات اللغة له عالمه الخاص ، ولكن هذا العالم قد يختفي أو يتلاشى تمامًا في المرحلة الأخرى ، وذلك عند دراسته في حالته التنظيميّة التركيبية ؛ لأنه قد يصحب ذلك تغيرات وتأثيرات مختلفة تنتج كثيرًا من الظواهر الصوتيّة الخاصّة بهذا المجال ، ثم تأتي التركيبية الصوتيّة الخاصّة بالصّوامت والحركات ، وذلك في إطار تقسيم الكلمة إلى أجزاء ووحدات ، وهو ما يسمى في عرف أهل اللغة بـ (المقطع الصوتي) .

(1) المزمّل من الآية 4 .

ثم أخيرًا علم الأداء وخاتمة هذه الدراسات وما يصحبه من قيمة دلالية يظهر أثرها في تركيب الكلمات ثم في تركيب الجمل والعبارات .

وعلى الجانب الآخر يُقدّم الدرس الدلالي ترجمة أخرى للهدف من الصورة التركيبية للكلمة العربية سواء في صورتها المفردة أو في صورتها التنظيمية ، وذلك في إطار المعنى المعجمي ثم السياقي الذي تتعدد ملاحظه وسماته فينتج كثيرًا من القضايا الدلالية .

ومن باب الحفاظ على القرآن الكريم ولغته ، وفي إطار هذين الجانبين ، وفي ضوء دراسة بعض القضايا الخاصة بهما من خلال منظور الدرس اللغوي الحديث قدّم الباحث هذه الدراسة تحت عنوان (الدرس الصوتي والدلالي في سورة الزخرف في ضوء الدرس اللغوي الحديث) .

فعن طريق الدراسة التنظيمية التركيبية للصوت اللغوي أو ما يسمى بعلم التشكيل الصوتي ظهرت بعض القضايا التي تعالج التأثيرات المختلفة التي تصاحب الصوت اللغوي إثر مجاورته لأصوات اللغة الأخرى ، مع الاستعانة في بعض الأحيان بالدراسة الصوتية الخاصة بالصوت المفرد ، وذلك من أجل التعرف على مخارج بعض الأصوات العربية والسمات الخاصة بها ، ثم علم الأداء وما يصحبه من قيم دلالية ، وذلك بعد التعرف على المقطع الصوتي .

ثم تقدم الدراسة أيضًا وعلى الجانب الآخر بعض القضايا الدلالية ، سواء من خلال تعدد اللفظ أو المعنى ، أو ما يصيب الألفاظ من تطور وتغير عبر عصور تاريخية مختلفة ، ثم التناوب بين حروف المعاني وأثره في الدلالة ، وكذا توضيح وتفسير الغريب من ألفاظ سورة الزخرف .

ويتم عرض هذه القضايا الصوتية والدلالية بعد تقديم تمهيد عن سورة الزخرف بعد مقدمة البحث بعنوان : (بين يدي سورة الزخرف) ، ثم مدخل موجز عن الدراسة الصوتية والدلالية والقضايا الخاصة بهما في هذه الدراسة .

ومن هنا ومن خلال العناوين الآتية يمكن عرض خطة البحث على النحو الآتي :

الفصل الأول : الدرس الصوتي في سورة الزخرف .

ويشتمل هذه الفصل على مدخل إلى الدرس الصوتي ثم سبعة مباحث يتم عرضها على النحو

الآتي :

المبحث الثاني : الإمالة .

المبحث الأول : تخفيف الهمزة .

المبحث الرابع : الإبدال .

المبحث الثالث : المماثلة .

المبحث السادس : النبر .

المبحث الخامس : المقطع الصوتي .

المبحث السابع : التنغيم .

الفصل الثاني : الدرس الدلالي في سورة الزخرف .

ويشتمل هذا الفصل على مدخل إلى الدرس الدلالي ثم ستة مباحث وهي :

المبحث الأول : بين الترادف والفروق اللغوية .

المبحث الثاني : المشترك اللفظي .

المبحث الثالث : التضاد .

المبحث الرابع : التطور الدلالي .

المبحث الخامس : التناوب بين حروف المعاني وأثره في الدلالة .

المبحث السادس : غريب الألفاظ في سورة الزخرف .

ثم يختم الباحث هذه الدراسة بخاتمة يوضح فيها أهم النتائج التي توصل إليها في بحثه .
وبعد ، فإن وجدت هذه الدراسة مكاناً بين الدراسات اللغوية القرآنية فهذا توفيق من الله
سبحانه وتعالى وحده ، وإن لم يكن فحسبي أني اجتهدت والمجتهد له أجر وإن أخطأ ، نسأله وحده
العفو والعافية .

التمهيد

بين يدي سورة الزخرف

سورة الزخرف هي إحدى السور السبع التي تبدأ بهذين المقطعين الصوتيين (حا) ، و (ميم) ،
يضاف إليها سورة غافر وفصلت والشورى والدخان والجنات والأحقاف .

وفي بيان دلالة الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم أقوال كثيرة ، منها على رأي جمهور
المفسرين كما " قال قطرب وغيره : هي إشارة إلى حروف المعجم كأنه يقول للعرب : إنما تحدثكم
بنظم من هذه الحروف التي عرفتم ، فقلوه (الم) بمنزلة قولك ا ، ب ، ت ، ث ، لتدل بها على التسعة
والعشرين حرفاً . وقال قوم : هي أمانة قد كان الله - تعالى - جعلها لأهل الكتاب أنه سينزل على
محمد كتاباً في أول سور منه حروف مقطعة ، وقال ابن عباس : هي حروف تدل على أنا الله أعلم ، أنا
الله أرى ، أنا الله أفصل . وقال ابن جبير عن ابن عباس : هي حروف كل واحد منها إما أن يكون
من اسم من أسماء الله ، وإما من نعمة من نعمه ، وإما من اسم ملك من ملائكته ، أو نبي من أنبيائه .
وقال قوم : هي تنبيه كيا في النداء ، وقال قوم : روي أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة
نزلت ليستغربوها فيفتحوا لها أسماءهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة ⁽¹⁾ " .

وسورة الزخرف "مكية إجمالاً ، عدد آياتها ثمان وثمانون عند الشاميين، وتسع عند الباقيين .
وكلماتها ثمانمائة وثلاث وثلاثون . وحروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة... تسمى سورة الزخرف ؛ لقوله :
(عَلَيْهَا يَتَكَلَّمُونَ . وَزُخْرُفًا) (34 ، 35) ⁽²⁾ " .

" وأما ما روي عن قتادة وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أن آية : (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) (45) نزلت بالمسجد الأقصى فإذا صحَّ لم يكن

(1) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية . تحقيق . عبد السلام عبد الشافي محمد 82/1 - دار
الكتب العلمية - لبنان - الطبعة الأولى 1413 هـ - 1993 م . وينظر : البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي .
تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود وآخرين 156/1 ، 157 - دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت -
1424 هـ - 2001 م .

(2) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي . تحقيق . محمد علي النجار 421/1 -
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة - الطبعة الثالثة 1416 هـ -
1996 م .

منافياً لهذا لأن المراد بالمكي ما أنزل قبل الهجرة , وهي معدودة السور الثانية والستين في ترتيب نزول السور نزلت بعد سورة فصلت وقبل سورة الدخان⁽¹⁾ .

ومن أجل بيان عدة أهداف ومقاصد دارت أحداث هذه السورة , حيث قيل عن " معظم مقصود هذه السورة : بيان إثبات القرآن في اللوح المحفوظ , وإثبات الحجة والبرهان على وجود الصانع , والرد على عبّاد الأصنام الذين قالوا : الملائكة بنات الله , والمنّة على الخليل – صلى الله عليه وسلم – بإبقاء كلمة التوحيد في عقبه , وبيان قسمة الأرزاق , والإخبار عن حسرة الكفار , وندامتهم يوم القيامة , ومناظرة فرعون , وموسى ومجادلة المؤمنين مع ابن الزُّبَيْرِ بحديث عيسى , وبيان شرف الموحّدين في القيامة وعجز الكفار في جهنم , وإثبات إلهية الحق في السماء والأرض , وأمر الرسول بالإعراض عن مكافأة الكفار في قوله : (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ) (89)⁽²⁾ " .

(1) التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور 157/2 – دار سحنون – تونس 1997 م .

(2) بصائر ذوي التمييز 421/1 .